جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه

إعـــداد

د.عفاف عبد الغفور حميد

أستاذ المساعدة بكلية دراسات القرآن والسنة

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه، وقد كان اهتمام المرأة بالحديث حفظاً ورواية نابعاً من شعورها بالمسؤولية الفردية، فهي مكلفة بالتعلم والدعوة والإصلاح، فالنصوص الشرعية خاطبتها ومنحتها الثقة بنفسها، وخاصة تشجيع الرسول ﷺ لها على العلم وحضور المجالس والمناسبات، وأمهات المؤمنين قدوة لغيرهن وفي مقدمتهن عائشة ﵂ فهي من السبعة المكثرين من أصحاب الألوف فضلاً عن علمها الواسع واستدراكاتها على الصحابة حتى غدت مدرسة في نقد الحديث.

وكان دور المرأة بارزاً في القرون الفاضلة الثلاثة الأولى، وسجل البحث تراجع دور النساء بعد ذلك، مع الإشارة إلى أعلامهن في القرون التالية حتى القرن التاسع، والإشادة بما شهده القرن الثامن من كثرة المشتغلات بالحديث، وكانت مصادر معرفة جهود المرأة كتب التراجم والتاريخ ومرويات النساء في الكتب الستة، مع استنباط مضامين تلك الروايات التي غلبت عليها الأحكام فصارت عمدة في بابها، لاقتصار الرواية في بعضها على النساء، حيث أصبحت مرجعاً للاستدلال الفقهي.

وقد رحل إليهن الطلاب من الأقطار، وأخذت من الشيوخ وأخذوا عنها ضمن الضوابط

الشرعية، وأشار البحث إلى قصور دور المرأة في التأليف والتصنيف، مع انتساب أكثر من عرفن بالرواية إلى أسر المحدثين حيث اهتموا بتعليم ذواتهم من النساء، كما شاركت المرأة بالرحلة في طلب الحديث ولكن تبعاً للرجل من المحارم.

جاء البحث في تمهيد وأربعة مباحث: عن القرون الثلاثة الهجرية الأولى، ثم من القرن الرابع إلى التاسع، ثم مصادر جهود المرأة من خلال مرويات كتب الحديث والتاريخ والتراجم، وأخيراً جهودها في علوم الحديث (طرق التحمل ونقد الروايات والجرح والتعديل).

* * *

التمهيد

عناية الإسلام بتعليم المرأة:

لقد عنى الإسلام بالتعليم عناية تتناسب وعظمة الرسالة المحمولة للناس، فكان التعليم أول مشروع إسلامي للمجتمع دون فرق بين الرجل والمرأة بنداء تضمن أداة التعليم وهو القراءة والكتابة في قوله تعالى:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ.." (العلق: ١-٥)، هذا النداء وغيره موجه للجميع وبضمنه المرأة لتأثيرها القوي في المجتمع.

وقد فرض الإسلام على المرأة العلم بأركان الإسلام والتوحيد والفرائض وما تحتاجه نحو زوجها وبيتها وأسرتها ومجتمعها، وهذا لا يتم إلا بالتعلم، فجاءت الرعاية النبوية بتطبيقها العملي للنساء، وبالمقابل شعرت المرأة بحاجة للعلم فجئن إلى الرسول ﷺ وطلبن منه مجلساً خاصاً بهن فاستجاب كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقال:" يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا، فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله"[١]، وقد تجلت العناية النبوية بمظهرين:[٢]

الأول : الإعداد النفسي والدعم المعنوي، وتمثل الدعم النبوي بالرد على أسئلتهن

وتفقدهن وحسن الاستماع والزيارة والنصح كما زخرت بذلك كتب السيرة والحديث، فزرع في نفوسهن الثقة ودفعهن لتحصيل العلم الشرعي بعد أن وقر الإيمان في نفوسهن.

وما حصل للمجتمع كان للمرأة نصيب منه بزحزحة رواسب الجاهلية وتشكيل نفسية وعقلية جديدة خاضعة للشرع، وكان عمر يقول: "والله إنا كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله منهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم."(٣) وقد حصل ذلك التغيير بمراعاة من النبي ﷺ وإشعارهن بالأهمية ومن ذلك تفقده للنساء الفاضلات كزيارته للصحابية أم حرام بنت ملحان التي أبدت رغبتها في أن ينالها ما ينال المجاهدين من الأجر والرفعة، ولم ينكر عليها ذلك بل قال لها:" أنت منهم" (٤)، وقد زار الربيع بنت معوذ صبيحة عرسها صلة لرحمها بعد غزوة بدر(٥)، كما كان يزور أم ورقة ويسميها الشهيدة وقد أذن لها في اتخاذ مؤذن وإمامة أهل بيتها في الصلاة، فكان اعترافاً منه ﷺ باجتهادها وتشجيعاً لها.(٦)

الثاني: حضور النساء ومشاركتهن في المجالس والمناسبات:

إن الدعم المعنوي الذي نالته المرأة جعلها مهيئة لتلقي العلم والمعارف من روافد كثيرة منها المشاركة في تجمعات المسلمين كحضورها صلاة الجماعة والأعياد وأداء الحج امتثالاً لقوله ﷺ: "لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد "(٧)، ولذلك كانت المرأة تحضر الصلاة مع صبيها فإذا بكى خفف ﷺ الصلاة رحمة بأمه(٨)، ويدل على كثرة ترددهن على بيوت الله ما روته أم هشام بنت الحارث عن النبي ﷺ أنه كان يخطب بالقرآن قائلة: "وما تعلمت "ق والقرآن المجيد" إلا من كثرة ما كنت أسمعها منه يخطب بها على المنبر"(٩).

وفي الأعياد كان ﷺ يأمرهن حتى الحيض منهن والبنت البالغة والتي قاربت البلوغ(العواتق) أن يشهدن الصلاة، وقطع على الفقيرات منهن العذر بعدم التخلف، كما في حديث أم عطية الأنصارية ﵁ قالت:" أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قالت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: "لتلبسها أختها من جلبابها"(١٠).

وفي الحج كانت تسأل وتستفسر عما غاب عنها وعن كيفية أداء مناسكها وتحفظ عنه السنن في هذا التجمع وتؤديها فتنال أجر التحمل والأداء.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المرأة حضرت أهم الانجازات والخطوات الأولى لبناء المجتمع الجديد وذلك بمشاركتها في البيعة، والحضور النسائي كان في لقاءات البيعة المختلفة مثل أم عمارة وأم المنيع.

المشاركة في رواية الحديث وتبليغه: شاركت المرأة منذ الوهلة الأولى في تعلم الحديث وتعليمه، وذلك حين رأت نفسها معنية بذلك لأنه يمثل مصدراً شرعياً في معرفة الحلال والحرام والدعوة إلى كل فضيلة، كما أنها مكلفة بتبليغ الدين الذي يقتضي حفظ أحاديث واتقانها ومن ثم تبليغها سواء على مستوى أسرتها وقبيلتها ومجتمعها، فكن شقائق الرجال في الرواية لقول الرسولﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال"(١١)، وكونهن شقائق الرجال في الرواية يعني:(١٢)

– إنهن مثل الرجال في التحمل فقد حرص الرسول على تعليمهن وإسماعهن لأنهن مكلفات بهذا الدين، فقد قام حين أنزل الله عليه قوله تعالى" وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" الشعراء:٢١٤ قال:" يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً"، فنراه خص الكبيرات منهن كما خص الكبراء لإظهار استقلالهن وتلقيهن للدين كالرجال، فلبت النداء وكانت خديجة أول مستجيب ومؤمن ومشجع ومن بعدها النساء من أمهات المؤمنين ومهاجرات وأنصاريات، وكان الرسول يتحفهن وأفرد لهن يوماً خاصاً.

واعتنت النساء بحفظ الحديث إما منه مباشرة أو من أزواجهن وإخوانهن وآبائهن واستمر الحال بعد الرسول ﷺ ويلاحظ أن المرأة قد تسبق الرجل وتفوقه في سعة الاطلاع، وقد تكون سبباً في إسلام قومها والأمثلة على ذلك كثيرة وخصوصاً أمهات المؤمنين، وقصة الرهط الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادته معروفة، وعن ثمامة بن حزن القشيري قال: لقيت عائشة فسألتها عن النبيذ، فدعت جارية حبشية فقالت:" سل هذه فإنها كانت تنبذ لرسول اللهﷺ ".

– وهنّ يشاركن الرجال في تحقيق المسائل العلمية بالمناظرة والمحاورة لمعرفة أحكام الدين والوقوف على سنة النبيﷺ، فقد قطعت أم الفضل بنت الحارث خلافاً وقع بين أناس في صيام رسول الله عرفة، وروت: "أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت له بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه" قال ابن حجر: "ومن فوائد الحديث المناظرة في العلم بين الرجال والنساء"(١٣).

– وشاركن أيضاً في تبليغ العلم ورواية الحديث وأدائه، فضلاً عن تحمله وطلبه ودراسته، ولما كانت الكتابة أحد وسائل التبليغ فقد شجعهن رسول الله على تعليمها كما في حديث الشفاء بنت عبد الله قالت:" دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي:" ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة"(١٤)، كما نعت بعض الصحابيات بالخط الحسن.(١٥)

وفي موضوع رواية النساء يقول الإمام الشوكاني: "لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم الرواية"(١٦).

وقد تتلمذ على المرأة كبار الصحابة والأئمة والمحدثين وكبار العلماء وفطاحلهم من مثل علي بن أبي طالب ﷺ الذي سمع من مولاة رسول الله ميمونة بنت سعد، وكذا الإمام محمد بن شهاب الزهري والإمام مالك وأحمد بن حنبل، والفراء والسمعاني وغيرهم مما تمتليء به كتب التراجم والطبقات.

عناية العلماء بمن يلونهم من النساء في مجال الرواية: لقد اهتم العلماء والمحدثون بتعليم أولادهم ذكوراً وإناثاً امتثالاً لــ" كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته"(١٧) وامتثالاً لقوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً" التحريم:٦، وكان السلف على هذا المنهاج يعتنون بأولادهم وزوجاتهم وعبيدهم وإمائهم وككل من يلونهم، وقد وجدنا في بطون الكتب أمثلة رائعة لهؤلاء. وكانت العناية بالبنات من الظواهر الملموسة، والشواهد تؤكد حرص المحدثين والأكابر منهم بالذات على مستويات عالية من الدراية والمعرفة بالحديث وعلومه، وهذه الشواهد هي أكثر من أن يتسع المقام لذكرها، وكان الرسول القدوة ﷺ سباقاً إلى ذلك بتعليم أهل بيته بناتاً وزوجات، فاقتدى به الصحابة فعّلم سعد بن أبي وقاص

ابنته عائشة، وأنس بن مالك ابنته أمينة وغيرهما كثير، وسار على نهجهم التابعون ومن بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه بنت سعيد بن المسيب رضي الله عنهما لما أن دخل بها زوجها وكان من طلبة والدها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد(١٨)، وروي عن الإمام مالك رحمه الله حين كان يقرؤ عليه "الموطأ" فإن لحن القارىء في حرف أو زاد أو نقص تدق ابنته الباب فيقول أبوها للقارىء: ارجع فالغلط معك، فيرجع القارىء فيجد الغلط"(١٩).

وبعضهن كانت ترحل مع أبيها أو زوجها ويجتمعن بكبار المحدثين، ويروى عنهن سماعاً ويجيزونهن بالرواية ويروون عنهن كما روى الإمام أحمد عن أم عمر الثقفية(٢٠).

ويضرب المثل بعائلة ابن حجر العسقلاني ففيها الكثير من طالبات العلم والراويات، ومنهن أخته (ست الركب ت ٧٩٨هـ)، التي ذكر السخاوي إجازاتها، وابنتها(موز) أخذت العلم عن خالها، وزوجة ابن حجر (أُنس) فقد أسمعها من شيخه حافظ العصر عبد الرحيم العراقي وأجاز لها باستدعاء عدد من الحفاظ، وقد اشتهرت في حياة زوجها وحدثت بحضوره وقرأ عليها الفضلاء، كما علّم بناته كذلك (زين خاتون، وفرحة، وفاطمة، وعالية، ورابعة) وأجاز لهن جميعاً ولكن لم يشتهرن كالوالدين لموتهن في سن مبكر بالطاعون.(٢١)

كما علم أبوداود ابنته أم سلمة، وابن قدامة المقدسي ابنتيه رابعة ورقية، والحافظ العراقي ابنتيه جويرية وزينب، والأمثلة تحتاج إلى مجلدات مما حوته بطون كتب التاريخ والتراجم.

المبحث الأول

جهود المرأة في رواية الحديث في القرون الثلاثة الأولى

يضم القرن الأول (أمهات المؤمنين والصحابيات وكبار التابعيات)

أولاً- أمهات المؤمنين:

ولهن أهمية كبيرة وفضل عظيم في تبليغ الدين ونشر السنة النبوية وخاصة بين النساء، فقد كانت بيوتهن مدارس لطلاب العلم يجد السائل عندهن الجواب والمستفتي فتواه، كما تعددت المدارس بتعددهن وكلهن سمعن منه ﷺ وعايشن تفاصيل حياته على تفاوت بينهن في الحفظ والرواية.

ولمكانة أمهات المؤمنين بين الصحابة كان الناس يستنكرون أن يسألهم أحد أو يستفتيهم في الأحوال الخاصة مع وجودهن. وقد اختلفت زوجات الرسولﷺ في حجم الرواية ونشرها وسأذكرهن بحسب ذلك:

١- عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها من أصحاب الألوف: ولها (٢٢١٠) حديثاً، وهي أشهر النساء في هذا الميدان، وقد عدت من ضمن سبعة من المكثرين في الرواية وفي الدرجة الرابعة، وقيل فيهم:

أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر[٢٢]

ونذكر أهم مزايا السيدة عائشة رضي الله عنها، فلها مناقب جعلتها تحتل المكانة الأولى في نشر الرواية:

- فهي نابغة في الذكاء والفصاحة، لكونها أبرع الناس في القرآن والحديث والفقه والشعر وأخبار العرب وأنسابهم.

- امتازت عن بعض الصحابة الرواة بأنها تحملت تلك الأحاديث مشافهة من النبي ﷺ لذلك انفردت بأحاديث لم يروها غيرها ولولاها لضاع كثير منها مما يتعلق بتصرفات النبي في بيته ومع أهله.

- كانت تأتيها المشيخة وكبار الصحابة يسألونها عن عويص العلم ومشكله

فتجيبهم بروح التروي والتحقيق مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في العلم مقاماً عليا، كما كانت مرجعاً عند الاختلاف، وحتى الخلفاء الراشدون كانوا يشاورونها في المسائل ويرجعون إلى رأيها. وقد شهد لها أبو موسى الأشعري فقال:" ما أشكل علينا – أصحاب محمدﷺ– أمر فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها فيه علم"[٢٣].

– تصحح أخطاء ما تسمع من الأحاديث، وتستدرك ذلك، وقد ألف الزركشي كتاباً عن الأمور التي استدركتها على أعلام الصحابة، مثال ذلك ما استدركته على عبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغها أنه يأمر النساء أن ينقضن رؤوسهن فقالت:" يا عجباً لابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟! لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله من إناء واحد وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات"[٢٤]

أما تلاميذها: فقد روى عنها خلق كثير من طبقات مختلفة، وكان من حكمة الله أن تزوجها النبي وهي ابنة تسع وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة، وكانت من آخر أمهات المؤمنين وفاة فاستفاد منها كبار الصحابة وصغارهم وكبار التابعين وصغارهم فمن الصحابة أبو بكر وعمر وأبو هريرة، ومن آل بيتها عروة بن الزبير ابن أختها ومن مواليها أبو عمرو ذكوان، ومن التابعين مسروق وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد، وغيرهم كثير.

أما محتوى مروياتها: فقد اتسم بالتنوع وتصدرت الأحكام المرتبة الأولى، فهي أساساً تنقل لنا الفعل بغية الاقتداء وتميزت بالدقة في التفاصيل عن حياة النبي ﷺ.[٢٥]

٢– أم سلمة (هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية)[٢٦]رضي الله عنها: وهي من أصحاب المئين ولها (٣٧٨) حديثاً، وفي تحفة الأشراف للمزي بلغت مروياتها (١٥٨) حديثاً، وتعد ثاني راوية بعد أم المؤمنين عائشةﷺ، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، انفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر.

أما محتوى مروياتها كانت كعائشة، تأخرت في الوفاة إلى سنة(٦٢هـ) فقصدها الصحابة وخصوصاً بعد وفاة عائشة (٥٨هـ) فتصدرت الرواية والفتيا، وجمعت هذه المرويات بين الأحكام والتفسير والآداب والأدعية والفتن..وإن كان أكثرها في الأحكام بأبوابها المختلفة، وتغلب عليها الصفة العملية وتدل كثرة رواياتها على حفظها واهتمامها بما

يصدر عن الرسول، نقل عنها كثير من الرجال والنساء من الصحابة والتابعين ومن مختلف الأمصار ومنهم ابنتها زينب.[٢٧]

٣- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها (ت٥١هـ) وهي من أصحاب العشرات، روت (٧٦) حديثاً، تحتل المرتبة الثالثة بين أمهات المؤمنين مع أم حبيبة وحفصة، ولها في الكتب الستة(٣١) حديثاً، في الصحيحين سبعة أحاديث انفرد البخاري بحديث ومسلم بخمسة.[٢٨]

ويلاحظ أن مروياتها توزعت على رواة أغلبهم من محارمها وفيهم ابن عباس كما طغت على مروياتها الصبغة العملية، وترجع كثرة مروياتها مقارنة بغيرها - رغم كونها آخر من تزوجها النبي من نسائه- إلى تأخر وفاتها، من جهة وإلى كون أحد المكثرين من محارمها ابن عباس، فهذا يسهل عليه الدخول عليها وسؤالها في القضايا المختلفة[٢٩].

٤- حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (ت٤٤هـ) من أصحاب العشرات، روت (٦٥) حديثاً، ولها في الكتب الستة (٢٩)، واتفق البخاري ومسلم على حديثين.

روى عنها عدد من الصحابة منهم أخوها معاوية وابنا أختها عبد الله وعروة بن الزبير وزينب بنت أبي سلمة، وحديثها مشهور في تحريم الربيبة، وروت في السنن الراتبة وفي احداد الزوجة وأبواب الطهارة، وعمومها وصف لأفعال النبي وفي السنن الرواتب[٣٠].

٥- حفصة بنت عمر رضي الله عنها (ت٤١هـ)، وهي من أصحاب العشرات، فلها (٦٠) حديثاً، اتفق الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم ب(٦)، ومجموع مروياتها في الكتب الستة (٢٨)حديثاً، جاءت في الطهارة والصيام والمناسك والزينة والآداب والطب وتعبير الرؤيا والفتن، وهي كبقية أمهات المؤمنين تغلب عليها رواية السنة الفعلية، إلا أنها اختصت برواية بأحاديث لم تروها غيرها كالرقية من النملة وقصة ابن الصائد وخروج الدجال من غضبة يغضبها والدواب التي لا جناح في قتلهن.[٣١]

٦- زينب بنت جحش رضي الله عنها (ت ٢٠هـ)، مروياتها (١١) حديثاً، وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ عاشت خمس سنوات معه وعشراً بعده، لها في الكتب الستة خمسة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على حديثين.

أشهر من روى عنها ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنين حبيبة، وزينب بنت أم سلمة، ورغم قلة مروياتها إلا أنها صاحبة رواية خروج يأجوج ومأجوج، وتقدم وفاتها قلل مروياتها، وقصة زواجها بالنبي معروفة حيث كانت أمراً قرآنياً لابطال التبني، وقد كان لها ذكر طيب.(٣٢)

٧- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها (ت٣٦هـ)، روت (١٠) أحاديث، واحد منها متفق عليه، كما روت في الكتب الستة، أما محتوى مروياتها فالمتفق عليه منها كان في الاعتكاف، والمعتكف يخرج لحوائجه إلى باب المسجد، وحديث الجيش الذي يخسف به، وأحاديثها القليلة بالنسبة لغيرها مهمة في سنن لم يروها أحد غيرها.(٣٣)

٨- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها (ت٥٠هـ وقيل ٥٦)(٣٤) روت (٧) أحاديث (٤) منها في الكتب الستة، عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان، حدّث عنها ابن عباس وكريب مولى ابن عباس، ومجاهد وآخرون، روت في الصوم بعدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وفي ثواب التسبيح، والزكاة وإباحة الهدية للنبي ﷺ وفي العتق.

٩- سودة بنت زمعة رضي الله عنها (ت٥٤هـ) وقيل زمن عمر(٣٥)ﷺ ولها (٥) أحاديث فقط، اثنان في الكتب الستة، واحد منها في البخاري وهو في الذبائح، حدّث عنها ابن عباس ويحيى بن عبد الله الأنصاري وغيرهم

ويلاحظ على روايات أمهات المؤمنين ما يأتي:

– لها درجة متميزة لكونها مرفوعة إلى النبي ﷺ.

– تخريجهن جيلاً من التابعيات الراويات علاوة على الرواة، ولكونهن دروساً عملية كما في مشروعية الإمامة للنساء التي قام بها أمهات المؤمنين مع الصحابيات والتابعيات.

– نقلهن سيرة النبي ﷺ ونشرها إلى الأمة، ولولاهن لفاتنا الكثير من السنن القيمة، ولذلك كن عمدة في رواية أفعاله المعيشية وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ثانياً: الصحابيات الراويات:

اختلف المحققون بالعدد الإجمالي للرواة من الصحابة والصحابيات، وقد ذكر الحاكم أن الرواة من الصحابة(٤)آلاف، وتعقبه الذهبي بأنهم نحو من (١٥٠٠) لا يبلغون ألفين أبداً.[٣٦]

وفي كتاب بقي بن مخلد (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث)، ذكر المحقق الدكتور أكرم العمري أن" قائمة الصحابة الرواة التي نظمها ابن الجوزي بلغت(١٨٥٨) صحابي وصحابية(١٦٤٢ صحابي + ٢١٦ صحابية)، وفيهم من لا تصح روايته، وبعد التدقيق في عدد الرواة في كتب الحديث وجد أن الذهبي أقرب إلى الصواب.[٣٧]

وإذا أخذنا بهذا العدد للصحابيات الراويات(٢١٦) فهو يتضمن أمهات المؤمنين التسعة والتي تصدرت عائشة الدرجة الأولى ثم أم سلمة، وما عدا أمهات المؤمنين كن ممن روى العشرات فما دون ذلك.

فمن روت العشرات (٩) صحابيات – عدا أمهات المؤمنين– وهن على التوالي: أسماء بنت يزيد بن السكن(٨١) حديثاً، وأسماء بنت عميس (٦٠) حديثاً، وأسماء بنت أبي بكر(٥٨)، وأم هانيء بنت أبي طالب (٤٦)، وأم عطية (٤٠)، وفاطمة بنت قيس (٣٤)، وأم الفضل بنت الحارث (٣٠)، وأم قيس بنت محصن (٢٤)، والربيع بنت معوذ (٢١).

ومن روت دون ذلك: فاطمة بنت رسول الله ﷺ (١٨)، وخولة بنت حكيم (١٥)، وأم سليم بنت ملحان(١٤)، والشفاء وسبيعة الأسلمية (١٢)، وثلاث صحابيات روين(١١)، وست روين(١٠)، وكذلك ست روين (٨)، وأربع روين (٧)، واثنان روين (٦)، وثلاث روين(٥)، وست روين (٤)، وعشر روين (٣)، وثماني عشر روين (٢) والباقي روين حديثاً واحداً فقط. ولا يمكننا في هذا البحث ذكر أسمائهن جميعاً وتفاصيل تراجمهن مبثوثة في كتب التراجم والسير والرجال.[٣٨]

ثالثاً: التابعيات الراويات:

أشتهرت بعض التابعيات في الرواية في القرن الأول- ويمثلن كبار التابعيات- ولكن نظراً لوجود الصحابة في هذا القرن وتكفلهم بالتبليغ فقد غطى على رواية التابعين ممن تقدمت وفاتهم، وكان حرص التابعين على ترك المجال للصحابة جلياً لأنهم خير القرون، ثم أنه من كان حريصاً على الحديث لا يرضيه إلا السند العالي، فبدل أن يسمع من تابعي من أهل بلده يرتحل إلى الصحابي، وعليه فقد كانت الراويات التابعيات المشهورات قليلات بالمقارنة بعدد الصحابيات.(٣٩) وممن اشتهرن في القرن الأول من كبريات التابعيات:

- خيرة أم الحسن البصري (مولاة أم سلمة رضي الله عنهن).
- زينب بنت كعب بن عجرة (زوج أبي سعيد الخدري).
- صفية بنت أبي عبيد بن مسعود (زوج عبد الله بن عمر).
- زينب بنت نبيط (زوج أنس بن مالك).
- أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق.

الراويات في القرن الثاني الهجري:

يضم هذا القرن أواسط التابعيات وصغارهن في النصف الأول منه، وبين كبريات تابعيات التابعين وأواسطهن في النصف الثاني منه، ويعد هذا القرن العصر الذهبي لرواية النساء غير الصحابيات ففيه أكبر عدد من الراويات وقد تركزت فيه معظم روايات النساء بالقرون الثلاثة الأولى.

فمن الراويات لأواسط التابعيات وجد كثير ممن حملن العلم وعرفن بالرواية والملاحظ أن معظمهن من تلميذات عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن أو من أحد أقاربها من الصحابة، ومن راويات هذه الفترة حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن وأم الدرداء (الصغرى). وعائشة بنت طلحة، ومعاذة بنت عبد الله العدوية، وحفصة بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر، وهن تلميذات عائشة رضي الله عنها، وفاطمة بنت المنذر روت عن جدتها أسماء بنت

أبي بكر. هؤلاء هن أعمدة الرواية النسائية الثقات من أواسط التابعيات، وأحاديثهن كثيرة في دواوين العلم. وهناك راويات أخر من تلميذات أمهات المؤمنين تقل رواياتهن عمن سبق ذكرهن وأقل شهرة كذلك، منهن: جسرة بنت دجاجة العامرية، وهند بنت الحارث الفزارية، وكريمة بنت همام، وعائشة بنت عجرد وغيرهن كثير.

أما صغار التابعيات فهن من روى عن صغار الصحابة ممن تأخرت وفاته. نذكر منهن شعثاء بنت عبد الله الأسدية، وعقيلة الخزارية، ومغيرة بنت حسان، وأم عمرو بنت عبد الله بن الزبير، وحبيبة بنت ميسرة، ورقية بنت عمرو وغيرهن. ووجد في أواخر القرن الثاني راويات تابعيات التابعين ولم نجد فيهن أسماء لامعة في علم الرواية لأن حركة الرواية النسائية بدأت تتراجع ومن الراويات أمة الواحد بنت يامين، وحبابة بنت عجلان وغبطة بنت عمرو المجاشعية وعمتها أم الحسن(٤٠).

الراويات في القرن الثالث الهجري:

يعد هذا القرن من أزهى عصور السنة وأكثرها خدمة للحديث فقد ظهر فيه أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث وأئمة الرواية كالبخاري ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة، والإمام أحمد وغيرهم من أصحاب المصنفات، كما دونت فيه الكتب الستة وظهر الاعتناء بالكلام على الأسانيد وتواريخ الرجال والجرح والتعديل، ولم يكن العلماء في هذا القرن يدونون الأحاديث بالنقل من كتب أخرى بل كان اعتمادهم على ما حفظوه عن مشايخ الحديث وعرفوا جيده من رديئه وصحيحه من ضعيفه(٤١).

وفي هذا القرن لا يأخذ المحدث الرواية إلا ممن عرف وخضع للرواية المقبولة ولذلك لم يسجل وجود راويات ذوات أسماء لامعة لأن أصحاب المصنفات قد انتقوا الروايات انتقاءً، والمرأة غالباً ما تكون أحوالها مستورة فلا يعلم ضبطها وعدالتها كما هو حال الراوي الرجل الذي يمكن أن يطلع على حاله لهذا يصعب رصد أعداد كبيرة من راويات هذا القرن(٤٢).

ولكن بفحص كتب التراجم ومشيخات بعض الأئمة تشير إلى حضور بعض الأسماء

للنساء وإن كانت قليلة، ولكن الراويات اللاتي أخذ عنهن العلم لم يروين إلا القليل جداً من الأحاديث، وغالباً ما تكون سنة وفاتهن مجهولة. ولم يتيسر تحديد القرن الذي وجدن فيه إلا من خلال من روت عنه، ومن أمثلة هؤلاء الراويات: فاطمة بنت الإمام مالك بن أنس، وخديجة أم محمد، وزينب بنت سليمان الهاشمية، وزينب بنت سليمان بنت أبي جعفر المنصور، وأم عمر الثقفية، وأسماء بنت أسد بن الفرات وغيرهن[٤٣].

المبحث الثاني

جهود المرأة في نشر الحديث من القرن الرابع إلى القرن التاسع الهجري

بعد التدوين وظهور كتب الحديث المهمة اطلعت المرأة عليها وكان لها جهود في تدريسها أيضاً.

ففي القرن الرابع الهجري: تشير كتب التراجم إلى وجود محدثات بارزات مشهورات مثال ذلك المحدثة أمة الواحد بنت الحسين بن اسماعيل المحاملي، وكانت من أحفظ الناس للفقه على المذهب الشافعي واسمها ستيتة (ت ٣٧٧هـ) وقد نعتها الخطيب بقوله "وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات، حدثت وكتب عنها الحديث[٤٤].

ومنهن جمعة بنت أحمد بن محمد بن عبد الله المحمية، محدثة نيسابور، قدمت بغداد وحدثت بها عن أبي عمرو بن حمدان، وأبي أحمد الحافظ وغيرهم، وحدث عنها أبو محمد الخلال[٤٥]. ومن الأسماء اللامعة في هذا القرن فاطمة بنت عبد الرحمن وفاطمة بنت أبي داود وأمة السلام بنت القاضي أبي بكر. وكان بعض المحدثات يذكرن الأحاديث من حفظهن، كما كانت تفعل فاطمة بنت أبي بكر بن أبي داود السجستاني.

وفي القرن الخامس الهجري: وجد فيه نساء فاضلات محدثات اعترف بفضلهن المهرة الحذاق من المحدثين. وقد ترجم لهن أهل العلم، وفي هذا القرن وما بعده ازداد عدد الراويات والمسندات ومن أبرزهن المحدثة المسندة أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية (ت ٤٦٣هـ) من أهل كشميهن سمعت صحيح البخاري من أبي الهيثم محمد بن مكي الكشمهيني

كما سمعت من غيره، ثم قدمت مكة وجاورت بها وكانت عالمة صالحة حضر دروسها العلماء الكبار الفطاحل كالخطيب البغدادي، وقرأ عليها الأئمة كالسمعاني وحدثت بالبخاري، وكانت إذا حدثت قابلت ما يقرؤ عليها بأصل سماعها، وسمع منها خلق كثير وقد اعترف العلماء بفضلها وسبقها في تدريس الجامع الصحيح للبخاري، وقد نعتها أصحاب التراجم بألفاظ التكريم مثل الشيخة العالمة الفاضلة المسندة(٤٦).

ومن محدثات هذا القرن بيبي بنت عبد الصمد بن علي الهرثمية أم الفضل (ت ٤٧٧هـ)، وكانت صالحة عفيفة تفردت بجزء من حديث ابن أبي شريح سمعه منها خلق لا يحصون وروت عن الأنصار جزءاً من حديثه وروى عنها عبد الأول الهروي الصوفي جزءها المنشور باسمه. وأشار العلماء في هذه المائة وما بعدها إلى عناية النساء برواية صحيح البخاري وتدريسه.

وفي القرن السادس الهجري: ومن أبرز المحدثات في هذا القرن أم ابراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية (ت ٥٢٤هـ) كان لها جهود كبيرة في سماع الحديث وإسماعه، أخذ عنها جماعة من الحفاظ والمسندين وأجازت للسمعاني بجميع مسموعاتها، وقد أثنى عليها الذهبي ووصفها بمسندة الوقت(٤٧).

ومن أعلام هذا القرن المعمرة الكاتبة مسندة العراق شهدة بنت أحمد بن عمر الإبري الدينورية (ت ٥٧٤هـ)، حدثت بمسموعاتها فأخذ عنها قراءة عليها الحافظ ابن الجوزي وابن عساكر والسمعاني وهناك محدثات أخر لهذا القرن، لا مجال لذكرهن.

وفي القرن السابع الهجري: كان للمحدثة الفاضلة المعمرة مسندة أصبهان عفيفة بنت أحمد بن عبد القادر الفارفانية (ت ٦٠٦هـ) فقد كان لها نشاط في تحمل الحديث ونشاطه. وسمع منها الحفاظ كالمقدسي، وابن نقطة حيث قال: سمعت منها المعجمين والفتن، وروى عنها بالإجازة آخرون كعبد الواحد المقدسي والمنذري وانتهى إليها علو الإسناد بأصبهان. وقد عرفت محدثات وعالمات كثيرات في هذا العصر منهن ست الكتبة نعمة بنت علي، وعين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج، وأم عبد الله ياسمين بنت سالم ووجد في هذا العصر كثير من المتفننات في العلم(٤٨).

وفي القرن الثامن الهجري: فاقت العناية بعلم الحديث في هذا القرن على الاهتمام بسائر العلوم كما هو واضح من تراجم النساء في كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو أهم مصدر لتراجم هذا القرن، إذ ترجم في كتابه هذا لنحو من (١٩٠) امرأة، كان لنحو(١٧٠) منهن اشتغال بعلم الحديث، إما تحملاً فقط –وهن قلة– وإما تحملاً وأداء، وقد بلغ عدد الصنف الأخير (١٤٧) عدا من لم يترجم لهن، ولهن ترجمة في كتب أخرى، وقد بلغ عدد من ذكر في تراجمهن أنهن أدّين ما تحملنه (٢٣٢) امرأة، كان لخمس عشرة منهن دور متميز في نشر هذا العلم[٤٩]. ومنهن: فاطمة بنت سليمان الأنصارية الدمشقية، وفاطمة بنت إبراهيم بن محمود البعلبكي، وهدية بنت علي بن عسكر الهراس، وست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجّا وتكاد تكون أشهرهن، وقد أخذ عنها الحافظ الذهبي وقد بلغ الآخذون عنها (٩٢) ستة منهم بطريق الإجازة، والباقي بطريق السماع[٥٠].

وقد تميز هذا القرن ببعض السمات الحديثية مما له علاقة بالمحدثات وهي:

كثرة المحدثات فلم يخل عقد من عقود القرن الثامن من وجود ما يزيد على عشر محدثات، وأن أكثر الآخذين منهن من الرجال، وإحضار الصغار –ذكوراً وإناثاً– مجالس التحديث، وشيوع التحمل بطريق الإجازة بعد أن كان الغالب السماع في القرون الأولى، وحدث ذلك بعد تدوين الأحاديث في المصنفات، انتساب عدد كبير من المحدثات إلى أسر علمية معروفة.

وفي القرن التاسع الهجري: استمر ازدهار الرواية للنساء كما كان في القرن قبله وظهرت أسماء لامعة أمثال: سلمى بنت محمد الجزري وقد ترجم لها والدها، وأم هانئ مريم بنت فخر الدين الهورينية(ت٨٧١هـ)، وباي خاتون بنت أبي الحسن(ت٨٦٤)، ومن العالمات عائشة بنت علي بن أبي الفتح وتدعى "ست العيش" مشاركة في سائر العلوم ولها في الحديث نصيب، وجويرية بنت الحافظ عبد الرحمن العراقي (ت٨٦٣هـ).

وقد بدأ ميل النساء إلى الحديث يضعف بعد القرن التاسع والقرون التي تليه وحتى الثالث عشر، حتى لا نجد في القرون بعد التاسع إلا بضع نسوة ولا يعني هذا انعدامهن[٥١].

ولعل أهم ما يميز جهود المرأة بعد عصر التدوين هو عنايتها بكتب الحديث وأهمها صحيح البخاري.

عناية النساء بصحيح البخاري:

لم يحظ كتاب بعد كتاب الله بالعناية ما حظيه صحيح البخاري، وقد شاركت المرأة الرجل تلك العناية، ولم يخل عصر من وجود الراويات المسندات اللاتي سمعن صحيح البخاري وروينه، ولم تقتصر المرأة على السماع بل قامت بتدريسه، ورواه عنها كبار حفاظ الحديث، ويمكن معرفة جهود المرأة في خدمة صحيح البخاري باستقراء كتب التراجم والمشيخات والأثبات وقد قام الدكتور محمد بن عزوز بجمع ما استطاع مما تناثر من هذه الأخبار وإن كان لايدعي أنه أحاط بها جميعاً في كتاب "صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح البخاري" وربما هناك محدثات لم يترجم لهن، أو أن تراجمهن دونت في كتب لم تصل إلينا أو لازالت مخطوطة.

لقد سمعت المرأة صحيح البخاري على المشايخ الكبار وأبرزهم المسندان الكبيران ابن الزبيدي والحجار، وخصوصاً النساء اللواتي سمعن صحيح البخاري في دار الحديث الأشرفية عن المسندين بطرق السماع والإجازة، ومن هؤلاء النسوة فاطمة بنت عبد الهادي المقدسية (ت ٨٠٣هـ) وهي شيخة الحافظ ابن حجر، وقد قرأ عليها العديد من الكتب والأجزاء. ومن الأمثلة كذلك كريمة المروزية وهي أول امرأة درست صحيح الإمام البخاري من محدثات القرن الخامس الهجري، ومنهن كذلك فخر النساء شهدة بنت أحمد البغدادي، وست الوزراء وهي أول امرأة استقدمت إلى مصر للتحديث بصحيح الإمام البخاري[٥٢].

المبحث الثالث
مصادر معرفة جهود المرأة

أ- كتب التراجم:

إذا أردنا التعرف على حقيقة جهود المرأة في مجال نشر الحديث النبوي فلا نكاد نجد مؤلفاً قديماً يخصهن بهذا الأمر، وقد ظهرت محاولات حديثة متواضعة للكشف عن هذا الجانب

وغالباً ما تكون خاصة بطبقة أو عصر أو قرن من القرون، وتكاد تكون عملية استنطاق لكتب التراجم والطبقات والتاريخ وكتب الحديث، والتنقيب فيها عن النساء الراويات وتراجم بعضهن فيها، ولذلك كان التأليف والكتابة حولها شاق عسير لبعض العصور، وليس أمام الباحث إلاّ التنقيب في بطون تلك المجلدات، إضافة إلى المؤلفات الحديثة المشار إليها في هامش البحث.

والحقيقة أن كتب التراجم لا تضم كل المحدثين والمحدثات فهناك من لم يصل خبره إلى مؤلف كتب التراجم إما لبعد موطنه أو أنه آثر الخمول على الصيت، أو أن الكتب المدونة لم تصل إلينا أو لا زالت مخطوطة، وهذا بالنسبة للنساء أكثر لأن حالهن مبني على التستر وعدم إمكانية وصول المترجم إلى أحوالهن.

وكتب التراجم عامة والطبقات والصحابة خاصة مليئة بتراجم الراويات لاسيما القرون الثلاثة الأول الفاضلات، وأبرزهن أمهات المؤمنين بعد انقضاء عهد النبوة، ثم التابعيات ومن بعدهن، أما كتب الحديث كالصحيحين والسنن الأربعة وغيرها فنجد في أسانيدها مئات الراويات، وكذلك كتب المسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية وغيرها.

ذكر المزي في آخر (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، (٢٦٥) صحابية مرتبة على حروف المعجم، وفي آخر (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ترجمة (٣١١) راوية من الصحابيات وكذلك كتابه (التقريب).

كما يجد الباحث تراجمهن في المجلدات الأول من (سير أعلام النبلاء) للذهبي، وفي آخر كتب الصحابة مثل (أسد الغابة) و(الاستيعاب) و(تجريد أسماء الصحابة)، وفي كتب الطبقات مثل (الطبقات الكبرى) لابن سعد، ومثله لخليفة بن خياط، وفي كتب البلدان كتاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

ويلاحظ أن بعض هذه الكتب لم تختص بترجمة الراويات في القرون الأولى الفاضلات وإن غلب عليهن ذلك كتراجم ابن سعد، كما اختلفت هذه الكتب في طريق ترتيب النساء المحدثات وفي المادة المذكورة فمنها المفصل ومنها المختصر وكذلك في الترتيب فمنهم من خلط بين الرجال والنساء ومنهم من فصل بينهم، ومنهم من خصّ الصحابيات بالذكر على أهن طبقة واحدة، وقد خصّ ابن سعد المجلد الأخير من طبقاته للنساء ورتبهن على النسب

وعلى صلة قرابتهن بالرسول والرواية عنه[٥٣].

وفي كتاب (أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد)لابن حزم الظاهري الأندلسي، رتبهم حسب عدد الروايات: أصحاب الألوف، ومنهم عائشة ثم أصحاب المئين ومنهم أم سلمة، والعشرات وهكذا بالتنازل، وفي كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ذكر للقرن السادس (١٢) راوية. ومن الكتب التي اختصت بتراجم قرن معين كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)لابن حجر ذكر ترجمة (١٩٠) امرأة محدثة وغير محدثة.

ومن الكتب الحديثة (الأعلام) جعل جزءاً منه للنساء، وإن فاته بعضهن، و(معجم أسامي الرواة الذين ترجم لهم ناصر الدين الألباني) ذكر (١٤٠) راوية مع التعليق جرحاً وتعديلاً، كما ظهرت مؤلفات حديثة تختص بقرن أو أكثر تحتاج إلى جهود أخرى ليكمل بعضها بعضاً.

ويظهر من مجموع ذلك أن الراويات أقل عدداً من الرجال لأسباب كثيرة أهمها انشغالهن بالمهمة الأساسية مع الأسرة، كما أن الراويات حظين بألقاب الاحترام (الشيخة، الثقة، الفاضلة، العالمة، المسندة، الجليلة، الخيرة)، كما طغى على كثير منهن صفة الجهالة، لأن أحوالهن ليست معروفة كالرجال، ومن مفاخر النساء التي انفردن بها – عن الرواة – أنه لم يقع منهن تعمد الكذب في الحديث كما وقع من الرواة، وهذه شهادة إمام الجرح والتعديل الذهبي حيث قال:" وما علمت في النساء من اتهمت، ولا من تركوها"[٥٤].

كما تشير كتب التراجم والسير إلى تتلمذ مشاهير العلماء والحفاظ على النساء ومنهم: الإمام ابن شهاب الزهري(ت١٢٤هـ)، فقد روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، وندبة مولاة ميمونة، وروى عن ثلاث لم يرو عنهن سواه، ومن المتأخرين الإمام أبو سعد السمعاني(ت٥٦٢هـ)، فقد ذكر في مشيخته "التحبير في المعجم الكبير" النسوة اللواتي كتبت عنهن، ورتب أسماءهن على حروف المعجم، وسرد تسعاً وستين محدثة وراوية سمع منهن أو كتبن له إجازة بمروياتهن[٥٥].

ب- الكتب الحديثية الستة:

حظيت الكتب الستة بالرضا والقبول لدى الأمة قديماً وحديثاً، ولبيان جهود المرأة وإسهامها في حفظ السنة ونشرها من خلال مرويات تلك الكتب رأينا الاقتصار عليها لعدم إمكانية الإحاطة بجميعها، وهذا يقتضي النظر في الأسانيد وفحصها للوقوف على دورها في الرواية واعطاء صورة عن حجمها ومضامينها وقيمتها الحديثية والفقهية(٥٦)، ويلاحظ من أسانيد هذه الكتب ما يأتي:

أولاً: عدد الراويات:

أ – الصحابيات: ويبلغ عددهن في الكتب الستة سواء من روت عن النبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة (١١٥) صحابية ثابتة الصحبة مضافاً إليها (٥) راويات مختلف في صحبتهن(٥٧). وذكر المزي (١١٢) مسنداً للصحابيات في الكتب الستة، أما متفرقة فقد جاءت كما يلي:

روى البخاري عن (٣١) صحابية، روى مسلم عن (٣٦) صحابية، روى أبو داود عن (٧٥) صحابية، روى الترمذي عن (٤٦)، صحابية، روى النسائي عن (٦٥) صحابية، روى ابن ماجة عن (٦٠) صحابية. ويلاحظ الاختلاف بين هذه الكتب في الرواية عن الصحابيات، وهن في الصحيحين أقل من السنن الأخرى نظراً لعدم وصول أسانيدهن إلى مستوى الشروط التي التزما بها في إخراج الحديث.

ب- غير الصحابيات: وعددهن (١٠٣) راوية، (٨) راويات من كبار التابعيات، و(٤٦) راوية من أواسط التابعيات، و(٢٣) من صغار التابعيات، و(٥) من كبار تابعيات التابعين، ثم (١٠) في الطبقة التي تليها، و(١٠) في التي بعدها، ثم رواية واحدة في الأخيرة هي طلحة أم غراب، وهكذا بالتناقص إلى أن تنعدم الرواية للنساء فلا نجد راوية واحدة قبيل أن نصل إلى الشيوخ في القرن الثالث، وتشير الأعداد إلى تراجع الرواية، حيث أن مجموع الراويات غير الصحابيات خلال القرون الثلاثة لم يصل إلى عدد الصحابيات(٥٨).

ومن الكتب التي أفردت للراويات (رجال صحيح البخاري) للكلاباذي، ذكر النساء اللواتي خرّج لهن البخاري فترجم للصحابيات وأولهم أمهات المؤمنين (١٥) صحابية و (٩) تابعية.

ثانيا: الراويات في الميزان:

بالنسبة للصحابيات العدالة ثابتة لهن جميعاً سواء من روت عن النبي ﷺ أو عن غيره، وهذا باجماع الأمة[٥٩]، أما بالنسبة لغيرهن فإن الصفات التي اطلقت على الراويات في كتب التراجم من جرح وتعديل كانت: ثقة، مقبولة، لا يعرف حالها، مجهولة، ففي هذه الكتب هناك (١٥) راوية ثقة، و(٣٣) مقبولة، وما تبقى لا يعرف حالها أو مجهولة، ويلاحظ كثرة المستورات والمقبولات لكون أحوال النساء مستورة عند من صنفوا في الرجال، لخفاء أحوال من في البيوت خاصة قليلات الرواية، أما الثقات فهن ممن اشتهرن بعلمهن وكثرة رواياتهن.

ومما هو مفخرة للراويات: أنه لا توجد راوية واحدة تنزل عن مرتبة (مجهولة) كما هو الحال بالنسبة للرجال، وسبق كلام الذهبي في عدم وجود راوية اتهمت أو تركوها وهذه ميزة تحسب للنساء في نقاء الراويات من البدع والكذب والضعف الشديد.

ثالثاً: عدد المرويات:

طبقاً للمصادر المستعملة للمزي وابن حجر فهناك (٢٧٦٤) رواية في مجموع الكتب الستة منها (٢٥٣٩) حديثاً للصحابيات الراويات، و(٢٢٥) حديثاً لغير الصحابيات.

وبينما تروي(٨٤) راوية غير صحابية (٢٢٥) حديثاً تروي (١١٢) صحابية (٢٥٣٩) حديثاً، وإذا عرفنا أن معظم الروايات لأم المؤمنين عائشة وهي(٢٠٨١حديثاً)، أي أن (٤٥٨) حديثاً ترويها بقية الصحابيات، والأرقام تشير إلى أن الرواية تكثفت في عصر الصحابة ثم تقل تدريجياً، كما أن روايات عائشة لم ترو منها تلميذاتها سوى (١٤٦حديثاً) تقريباً وهذا يثبت أن أم المؤمنين عائشة فريدة عصرها بل كل العصور ولا يوجد من يضاهيها، فقد اتفق لها البخاري ومسلم على(١٧٤) حديثاً، انفرد البخاري بـــ(٥٤)، مسلم (٦٩)، وبهذا يصبح مجموع حديثها عند الشيخين مجتمعاً ومنفرداً (٢٩٧) حديثاً[٦٠].

رابعاً: مضامين المرويات:

هناك تفاوت في كثرة روايات النساء في أبواب وقلتها في أبواب، أو ندرتها وانعدامها في آخر:

ففي الأحكام، معظم روايات النساء حول الأحكام بمختلف فروعها، وقد لاحظنا من قبل في مرويات أمهات المؤمنين أن معظمها تتعلق بالأحكام وما له صفة عملية وكذلك بقية روايات الصحابيات وخاصة ما كان في قضايا النساء.

ولما كان الحديث الذي يرد في الأحكام قد يرد أيضاً في المناقب أو غيرها لذا يصعب إعطاء أرقام دقيقة في حجم الرواية في الأحكام، كما أن روايات أم المؤمنين تغطي كل أبواب الفقه.

وفي غير الأحكام – مع كونها قليلة – لها قيمة كبيرة وغالباً ما تكون عمدة في بابها، فقد روت المرأة في (الفتن وأشراط الساعة)، فعن أم شريك:" ليفرنّ الناس من الدجال في الجبال" [٦١] وعن أم سلمة الجيش الذي يخسف به، وغير ذلك، وفي أبواب التفسير وأسباب النزول كان لعائشة النصيب الأكبر إضافة إلى مرويات صحابيات أخر مثل أسماء بنت يزيد بن السكن والتابعية معاذة العدوية تروي عن عائشة، وفي أبواب العقائد روت في القدر وبدء الوحي..وفي المناقب كمناقب الصحابة: عمار وفضل علي وأصحاب الشجرة[٦٢].

رواية المرأة عمدة في بابها: هناك سنن وأحاديث لم يروها إلا النساء وكانت مرجعاً للاستدلال الفقهي تبنى عليه الأحكام وتتبع السنن، ومن تلك النماذج:

حديث الفريعة في سكنى المتوفي عنها زوجها، تفردت التابعية زينب بنت كعب بن عجرة بروايته عن الفريعة، وقد تلقاه سيدنا عثمان بالقبول وقضى به بمحضر من المهاجرين والأنصار، فقد قضى محمد بن سيرين في امرأة توفي عنها زوجها – وهي مريضة– نقلها أهلها أن ترد إلى بيتها في نمط[٦٣].

ومثله حديث فاطمة بنت قيس في نفقة المبتوتة وسكناها، وفيه ما يدل على وعيها وحفظها وأدائها، وكذلك في حديث الجساسة وصفة خروج الدجال الطويل الذي ورد عنها، ومنها حديث أم عطية في غسل الميت[٦٤] فهو أصل في بابه، أخذه عنها الصحابة فقد كانت قد غسلت بنات النبي وهو يوجهها خطوة خطوة، وقد اشتهرت أم عطية في البصرة بفقهها وفهمها للحديث حتى قصدها الرجال والنساء، كما يرجع الفضل في بيان أصحاب الشجرة المبايعين بيعة الرضوان إلى أم مبشر التي كانت من المبايعات وهي تنقل بشارة النبي لهم

بالجنة[٦٥].

فالكتب الستة شاهدة على مساهمة المرأة في الرواية وإن كانت المساهمة ضئيلة بالنسبة للرواة الرجال إلا أن لهذه الروايات قيمة من ناحية مادها ومضامينها.

المبحث الرابع
جهود المرأة في مجال علوم الحديث

أولاً: عناية المرأة في التحمل والأداء:

كانت العمدة في القرون الأولى للتحمل على الرواية والمشافهة، وتغير الأمر بعد التدوين (بعد القرن الثالث) وأصبح الاعتماد على الكتب والأصول الصحيحة، وصارت الرواية في الحقيقة بقاء سلسلة الإسناد[٦٦].

وطرق التحمل الثمانية المعروفة (السماع، والقراءة على الشيخ، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والاعلام، والوصية، والوجادة)، لم تكن جارية مجرى القوانين في قرون ما قبل التدوين، لأنها جمعت بعد القرن الثالث.

أما بالنسبة للراويات: فقد تحمل الصحابيات الحديث في العهد النبوي بطرق متعددة:

١- المجالس الخاصة والعامة للمسلمين، وكما مرّ في تخصيص الرسول ﷺ لهن يوماً، كما كن يحضرن المساجد والجمع فيسمعن مشافهة، ومثل ذلك في الأعياد والحج.

٢- قدومهن لبيت النبي ﷺ وسؤاله، والأمثلة على ذلك كثيرة وخصوصاً فيما يخص النساء ومما يستحى منه عادة.

٣- سؤالها النبي حين تجد فرصة أما في الطريق وفي مناسك الحج وهو على راحلته، كما حصل للمرأة الخثعمية التي سألت عن الحج لوالدها العجوز.

٤- شهادة الصحابية على حادثة أو موقف وجه فيه النبي أناساً أو أقرهم على فعل أو بين لهم حكماً جديداً.

وبعد عصر النبوة: أصبح الصحابة مقصداً لطلاب العلم، وقدمت المرأة للتابعين ما

تحمله قل أو كثر واتخذ اشكالاً جديدة:

١- السماع (المشافهة)، وهو معظم الروايات، خصوصاً تلميذات أمهات المؤمنين، والمقيمات بالمدينة، أو ممن رحلن للحج وسمعن مشافهة من أصحابها عند الدخول عليهم.

٢- المكاتبة: وخاصة بعد اتساع الدولة الإسلامية وحاجتهم إلى الإفتاء في المستجدات فيكاتبون رؤوس العلم، والرسائل تتضمن أقوال الرسول ﷺ وإن كان لا يقصد بها التحديث بل الفتوى إلا أنه لا يمنع من جعل مضامينها مادة للحديث لأن الإجازة متحققة فيها ومن هذا النوع في التحمل والأداء ماروته عائشة بنت طلحة قالت "قلت لعائشة وأنا في حجرها وكان الناس يأتوننا من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلي ويكتبون إلي من الأمصار، فأقول لعائشة: هذا كتاب فلان وهديته، فتقول لي عائشة: أي بنية فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك قالت: فتعطيني"(٦٧)

٣- الوجادة: فقد وجدت صحفاً لبعض الصحابة والتابعين وتناقلوها بالوجادة كما حصل لعبد الله بن أحمد بن حنبل، واستعماله لصيغة "وجدت في كتاب أبي" أو "بخط أبي" كثيرة ولم يستجر أن يروي بها دون صيغة الوجادة مع كونه ابنه وتلميذه، ومثاله سمانة بنت حمدان، وهي بنت الوضاح بن حسان، تروي عن جدها بقولها "وجدت في كتاب جدي الوضاح بن حسان"(٦٨).

٤- الإجازة: اعتمدت بعد التدوين في الكتب بالأسانيد الموثوقة تسهيلاً وتيسيراً على الشيخ وتلاميذه، فمن الصعب قراءة الكتب على كل طالب، ولذلك لم يستحسن العلماء الإجازة إلا إذا كان المجاز له من أهل العلم، وأن تكون في شئ معين، وممن تحملن بطريق الإجازة فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي، شاركت أخاها محمد في بعض شيوخه، وأجازهما معاً.

أما رحلة الراويات وطلب الحديث: فقد كان اسهام المرأة في هذا الجانب ضئيلاً لأسباب معروفة أهمها ارتباطها بالبيت، ومشقة السفر وعدم امكانية سفرها منفردة، ولكن من خلال النصوص وكتب التاريخ والتراجم نجد للمرأة مشاركة في هذا الجانب.

ففي زمن الرسول ﷺ كانت الرحلة قائمة فقد كانت المرأة تشترك مع وفود القبائل القادمة للنبي وتسمع منه ثم تقوم بتبليغه، كما كانت رحلة التبليغ والأداء في هجرة الحبشة الأولى والثانية والهجرة إلى المدينة وقد رافقت النساء أزواجهن في ذلك، وبعد عصر النبوة تفرق الصحابة والصحابيات في الأمصار وقاموا بنشر السنن وكان للصحابيات دور لا يستهان به ومنهن:

أم عطية الأنصارية، وقد ذكرها ابن عبد البر وعدّها في أهل البصرة، وذكرت التابعية حفصة بنت سيرين أن أم عطية قدمت البصرة فنزلت في قصر بني خلف واشتهرت هناك بفقهها وروايتها للحديث وأحكامه.

وأسماء بنت يزيد بن السكن، وهي ثالث راوية بعد عائشة وأم سلمة وقد حدثت بالشام، وأم المؤمنين حبيبة حدثت بالشام عند زيارتها لأخيها الخليفة معاوية، وفي كتاب "العلل: لأحمد بن حنبل ذكر من روى من النساء عن النبي ﷺ من أهل الشام والبصرة والكوفة.

أما رحلة الحج: فقد كان موسم الحج ملتقى لطلاب العلم بالحديث للتحمل والأداء والتثبت وطلب علو الإسناد، ففي حجة الوداع شاركت النساء فيها وفي نقل سننها وخطبة حجة الوداع، وبعد النبي كان الحجاج يتوافدون على المدينة للقاء الصحابة وكان نساء الأمصار يدخلون على أمهات المؤمنين ويسمعن منهن، ومن الأمثلة: أم سالم بنت مالك الراسبية البصرية، وهي تابعية روت عن عائشة وفي تهذيب التهذيب "أحرمت أم سالم من البصرة سبع عشر مرة" وجسرة بنت دجاجة تابعية ثقة روت عن أبي ذر عن عائشة، وقد أخبرت أنها اعتمرت نحوا من أربعين عمرة،(٦٩) فلعل هذه تكون من الرحلات العلمية طلباً للحديث.

ثم توسع نطاق الرحلة في المراكز العلمية فيما بعد، وكانت رحلة المرأة تتم بصحبة الأب أو الزوج، أو غيرهما من المحارم، وقد ذكرت لنا المصادر عن ذلك الكثير مما لا مجال لذكره.

ثانياً: عناية المرأة في نقد الرواية والجرح والتعديل والتصنيف:

١- جهودها في نقد الرواية:

النقد في اصطلاح المحدثين، تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والحكم على الرواة توثيقاً وتجريحاً، وقد سلك الصحابة مسلك الحيطة الشديدة في قبول الرواية من الآخرين والتأكد منها قبل التحديث، فقد يسمع صحابي من آخر فيتوقف فيما يسمع عندما لا يراه منسجماً مع ما فهمه من القرآن ومما سمعه من النبي ﷺ. ثم نبغ كثيرون ممن اعتنوا بالحديث بعد طول تجربة بنقد الأسانيد والمتون، وتشير المصادر إلى قلة النساء المشتغلات في هذا المجال.

ومن الذين تصدوا لنقد الروايات من النساء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي من القلائل الذين عرفوا بهذا الفن، بل هي في مقام الأستاذ لما لها من نظر ثاقب وصائب مدعوماً بالحفظ وجودة الحوار، فقد كان يصل إلى سمعها روايات عن بعض الصحابة على غير حقيقتها فتصحح لهم، فقد استدركت على كثير منهم مثل عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم ﷺ، ومن الأمثلة ما صححته لأبي هريرة رواية " ولد الزنا شر الثلاثة" فقد عابت عليه تعميمه لهذه الرواية، بذكرها سبب ورود الحديث الذي قيل فيه، حيث جاء في رجل من المنافقين يؤذي رسول الله فقال:" من يعذرني في فلان، قيل : يا رسول الله إنه مع ما به ولد زنى فقال: هو شر الثلاثة" والله تعالى يقول:"ولا تزر وازرة وزر أخرى"(الأنعام:١٦٤) وكانت في تصحيحها للرواية أحياناً تجبر النقص في الرواية مع ذكر الدليل، كما ردت على أبي هريرة روايته "إن الطيرة في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس" فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ولكن كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون..."ثم قرأت" ما أصاب من مصيبة في الأرض..." الحديد: ٢٢. ومثل ذلك حديث "لأن يمتلأ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتليء شعراً" أجبرت النقص "هجيت به"، واستدركت على عمر حديث "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" وقالت: "يرحم الله عمر.. ولكن قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه"

وكانت أحياناً تصحح بمعارضة الرواية بفعل النبي أو بحديث آخر[٧٠]. وهكذا

كانت أم المؤمنين مدرسة في نقد الروايات مبنية على قواعد متينة ازدهرت فيما بعد في القرون المتأخرة، كما أخذ النساء علم عائشة وسجلت النصوص مساهمات بعضهن في نقد الرواية.

ومن الناقدات المشهورات المتأخرات، حميدة بنت محمد بنت شمس الدين الرويدشتية الأصفهانية، العالمة الفاضلة إحدى المحققات في الحديث ورجاله، لها تحقيقات وحواش على كتب الحديث، وكان أبوها يدعوها علاّمته، كما كان بعض العلماء ينقل حواشيها وتتبعاتها في هوامش كتب الحديث(ت١٠٧٨هـ)(٧١).

٢- جهودها في الجرح والتعديل :

الجرح والتعديل: علم يبحث عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، والجمهور يقبل تعديل المرأة والعبد العارفين(٧٢)، فكما تقبل روايتها تقبل تزكيتها ولا شيء يمنع من ذلك، ودليله تعديل بريرة لعائشة حين سألها رسول الله عنها في حادثة الأفك فقالت:" عائشة أطيب من طيب الذهب" وتعديل زينب"ما علمت إلا خيراً".

ولم تذكر لنا المصادر نساء ساهمن مساهمة فعلية في هذا الفن، اللهم ما كان من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد عرف عنها الجرح والتعديل، ففي حديث ابن عمر " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه قالت بعد أن صححت الرواية:" أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ"(٧٣)، كما وهّمت ابن عمر في تواريخ اعتمار النبي وأنكرت أنه اعتمر في رجب فسكت حين راجعته مما يدل على أنه اشتبه عليه(٧٤).

ومن التعديل كلام أم عمر الثقفية، فقد أورد الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن حنبل قال: حدثتنا أم عمر ابنة الحسان بن زيد قالت:"أبي عجوز صدوق"، وهي معروفة بطلب العلم فعدلت أبيها "صدوق" وهي أهل للاعتماد لأنها لم تكن مجهولة، وهي من أهل العلم، وتخبر عمن تعرف.

ومن تجريح النساء قول أسماء للحجاج بن يوسف: "أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاب ومبير، أما الكذاب فقد عرفناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه"(٧٥).

٣- جهودها في التصنيف: أن اقدام المرأة على التصنيف لم يحظ بالاهتمام الكافي،

فلم تكن لها مصنفات ذات بال كما هو للرجال، وإذا وجدت فقليلة، وقد ذكر الأستاذ كحالة بعضهن مثل: المحدثة فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي وصرح بأنها قد صنفت في الحديث والفقه، وبعضهن كتبن لأنفسهن مشيخة كما هو حال زينب بنت اسماعيل الخباز، وزينب بنت عبد الله اليافعي (ت٨٦٤) وغيرها..[٧٦]، وقد مرّ ذكر الناقدة حميدة بنت محمد الرويدشتية الأصفهانية بأنها كانت من المحققات ولها تحقيقات وحواشٍ على كتب الحديث.

وقد ذكر ابن الزبير في ترجمة ابن عطية اعتناءه بتآليف ابنته أمة الرحمن "روت عن أبيها وتأدبت، وألفت كتاباً في (القبور) و(المحتضرين)..لها خط حسن، وقفت على تأليفها بخطها والاصلاح فيه بخط أبيها.."[٧٧]

وربما تركت المرأة مهمة التصنيف لمن تعلم وتربي من الرجال، وعلى العموم وجد في التاريخ الإسلامي نوابغ النساء في الفنون كافة وفي برهة من الزمن كانت العروس لا تجهز إلا ومعها بعض الكتب الشرعية النافعة، فقد ذكر – مثلاً– الإمام الذهبي: " أن البكر كان في جهازها عند زفافها نسخة من كتاب "مختصر المزني"[٧٨].

الخاتمـــة :

قدم البحث تصورا ًعاماً وليس تفصيلياً عن نشاط المرأة في نشر الحديث وعلومه، وخلص إلى النتائج الآتية:

– تركّزت رواية النساء حول أمهات المؤمنين التسع ﷺ فأسسن لهذا الدور لمن بعدهن، مع تفاوت بينهن في تلك الجهود، وقد تميز دور عائشة رضي الله عنها، والتي تعد من ضمن السبعة المكثرين.

– شاركت المرأة في الرحلة لطلب العلم في الصدر الأول من الإسلام وإن لم تكن لغرض التحديث وكانت في ذلك تبعاً للرجل أباً أو زوجاً أو غير ذلك من المحارم، وكان حظها في التأليف والتصنيف قليلاً ونادراً.

– شهدت العصور الثلاثة الأولى كثرة الراويات من صحابيات وتابعيات، وتابعيات التابعين وتابعيات التبع، ثم تراجع دورهن بعد عصر التابعيات (تلميذات أمهات المؤمنين)

تدريجياً إلى القرن الثالث وعصر التدوين.

– تقاس حركة النساء في الرواية من خلال عدد هذه الراويات في كتب الحديث وخصوصاً الكتب الستة، وبعددها وبقيمتها العلمية، ومن خلال كتب التراجم والتاريخ والسير، وهذه من غير شك لا تعكس الحقيقة الواضحة عن جهود النساء بسبب قلة المعلومات عن الراويات، وما توافر للمصنفين لا يكفي لإعطاء صورة واضحة عن كثير منهن فتلحق بالمجاهيل لأنه لم يرو عنها إلا واحد.

– قلة النساء في هذا المجال بالمقارنة بعدد الرجال – عدا الصحابيات– بسبب غلبة الرجال والحفاظ منهم، وكانت الرواية عند النساء تقوم على جهود فردية وليست مهنة، بل ترتبط غالباً بالأسئلة والفتاوى والأحداث، ولم يقتصر دورها على الرواية بل لها مساهمات متواضعة –عدا عائشة– في النقد والجرح والتعديل.

– انتساب أكثر من عرفن بالرواية بعد القرون الأولى إلى أسر المحدثين وبيوت علمية عريقة من الذين اهتموا بتعليم ذواتهم من النساء فكان الشهيرات منهن من بنات العلماء أو أزواجهم أو حفيداتهم.

– كان دور المرأة في الأداء والتبليغ واضحاً وكن شيخات لكبار الحفاظ والمحدثين اللذين تتلمذوا على يد مسندات ثقة، وقد برز هذا في دراسة الكتب الستة وتدريسها وخصوصاً صحيح الإمام البخاري بعد المائة الخامسة.

– شهد القرن الثامن تطوراً متميزاً في كثرة المشتغلات بالحديث تحملاً وأداءً، ووصلن إلى رتبة المسندة والمحدثة اللائي يرحل إليهن الطلاب من الأقطار، وقد أدين ما تحملنه إما قراءة عليهن أو سماعاً منهن أو إجازة، وإن القليل منهن اقتصر أداؤها على الإجازة والمكاتبة وشاع بينهن كثرة التحمل بطريق الإجازة.

– لم تتحمل المرأة أو تؤدي بين النساء فقط بل أخذت عن الشيوخ الرجال وأخذ عنها الرجال، ومنهم من كان من العلماء والفطاحل أمثال السمعاني والذهبي وابن حجر، وكان أكثر الآخذين عن المرأة صحيح البخاري رجالاً، وكان هذا التلقي يتم ضمن الضوابط الشرعية

– كانت الصفة الغالبة للتحمل في القرون الأولى هو السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، وقلة التحمل بطريق الإجازة ثم أصبحت الإجازة في القرون المتأخرة هي السمة الغالبة.

وختاماً أوصي المرأة المسلمة أن تقتدي بمن سبقنها من هؤلاء النسوة، وتكون لها مشاركة فعالة في إحياء الثقافة الإسلامية وإبراز جهودها في نشر علم الحديث خاصة، كما أوصي الآباء والمربين بمثل ذلك.

الهوامش والتعليقات

(١) البخاري، صحيحه، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلـــم؟، ح(١٠١) ٧٢/١.

(٢) راجع: آمال قرداش بنت الحسين، (١٩٩٩)، دور المرأة في خدمة الحديث في القـــرون الثلاثـــة الأولى، سلسلة كتاب الأمة عدد(٧٠) ، وزارة الأوقاف والـــشؤن الإســـلامية، قطـــر، ص ٣٥٤٣.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، تفسير قولـــه تعـــالى(تبتغـــي مرضـــات أزواجـــك ...) التحريم:١٢، ٢١٢/٢

(٤) الحديث في البخاري، كتاب التعبير، باب رؤيا النهار، ٤،٢٠٠١٧٠٠١٧٠٠/٣٠٠، ومسلم كتاب الإمارة باب فضل الغزو في البحر ، ١٩١٢، ١٥١٨/٣

(٥) رواه الترمذي في السنن حديث رقم (١٠٩٠)

(٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة باب إمامة النساء ٩٧/١.

(٧) البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد ح (٨٦٦) ٤٤٨/١، ومسلم واللفظ له، صحيحه، كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، ح (١٤٠) ٢٢٨/١.

(٨) البخاري، كتاب الصلاة باب الإيجاز في الصلاة ة وإكمالها ح(٨٦١)، ٤٤/١.

(٩) مسلم، الجمعة، تخفيف الصلاة والخطبة (٨٧٢)، ٥٩٥/٢.

(١٠) البخاري، كتاب العيدين، خروج النساء والحيض إلى المصلى(٩٦٧)، ٥١/١.

(١١) أخرجه الإمام أحمد المسند، ٢٥٦/٦، وأبو داود رقم(٢٣٦)، والبيهقي ١٦٨/١.

(١٢) راجع: آل سلمان أبي عبيدة مشهور بن حسن، (١٩٩٤م) عناية النساء بالحديث النبوي، دار ابن عفان/ السعودية، ص ١٠١٩.

(١٣) البخاري، الصحيح، كتاب الحج، باب الوقوف على الدابة بعرفـــة ح(١٦٦١)، ٥٠٩/١، وكتاب الصيام، باب صوم يوم عرفة ح(١٩٨٨)، ٥٦/٢، ومـــسلم في صـــحيحه، كتـــاب

الصيام (١١٠) ، وأبو داود ، صوم (٦٣)، والموطأ حج، (١٣٢) وراجع أمثلة أخرى عند آل سلمان ص ١٩٢٠

(١٤) الحاكم، المستدرك ، ٥٦٥٧/٤، ٤١٤، أبو داود، السنن ح(٣٨٨٧)، وأحمد، المسند، ٣٧٢/٦، ٢٨٦، وتحفة الأشراف ٣٣٦/١١.

(١٥) وذكر الذهبي في السير، في ترجمة فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار أم الفضل المعروفة (بنت الأقرع ت ٤٨٠هـ) أن المثل كان يضرب بحسن خطها.

(١٦) الشوكاني محمد بن علي (١٩٧٣)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار، دار الجيل، بيروت ٢٢/٨.

(١٧) البخاري، الصحيح، ١١١/٣ رقم(٧١٣٨)، ومسلم في صحيحه، برقم(١٨٢٩)

(١٨) أبو نعيم أحمد بن عبد الله (١٩٨٠)، حلية ٢الأولياء، ط٣ دار الكتاب العربي،/١٦٧١٦٨، والذهبي (١٤٠٥)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، بيروت ٢٣٣٢٣٤/٤.

(١٩) القاضي عياض (١٩٦٧)، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت، ١٠٩١٠١٠/١.

(٢٠) الخطيب البغدادي أحمد بن على (١٣٤٩)، تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٣٤/١٤.

(٢١) راجع مصدر ترجماتهن في كتاب (ابن حجر ودراسة مصنفاته) ٩٦/١ وما بعدها.

(٢٢) ابن حزم (١٩٨٦)، جوامع السيرة، تحقيق نايف العاملي، ص ٢٧٥ ٢٧٦، وراجع الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٩/٢.

(٢٣) أخرجه الترمذي، المناقب، فضل عائشة، ٣٩٨٢، وقال: حسن صحيح.

(٢٤) الزركشي،(١٩٨٥)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ط المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٢٣.

(٢٥) راجع: آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ص ٦٣.

(٢٦) لأم سلمة ماضٍ عريق في الإسلام هاجرت مع زوجها الأول أبي سلمة إلى الحبشة حيث ولد ابنها سلمة، ثم إلى المدينة ، مات أبو سلمة إثر جرح في أحد فتزوجها رسول الله ﷺ ، كانت

توصف بالعقل والدين وكان الرسولﷺ يقدر رأيها ويأخذ به أحياناً، راجع: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٠٧/٤.

(٢٧) المزي (١٩٨٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال تحقيق: بشار عوّاد، مؤسسة الرسالة، بيروت ٣١٩ /٣٥.

(٢٨) راجع: ابن سعد محمد (١٩٩٠)، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٣٩/٨، والمزي جمال الدين أبي الحجاج (١٩٩٩)، في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، دارالكتب العلمية، بيروت، ٤٨٤٤٩٨/١، وسير أعلام النبلاء ٢٤٥/٢.

(٢٩) انظر في سيرتها: الذهبي في السير٢٩٢/٢، وفي مروياتها، ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٤، والمزي في تحفة الأشراف٢٧٨٢٩٢/١١، وراجع: آمال قرداش، ص٧٦.

(٣٠) راجع الذهبي، السير، ٤١٨٤٤٣/١، ٢١٩/٢. هاجرت إلى الحبشة فتنصر زوجها وبقيت على دينها، فأرسل النبي يخطبها سنة٦ للهجرة فتزوجها النبي، زوجها إياه النجاشي ومهرها ٤ آلاف وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها كله من النجاشي.

(٣١) راجع : آمال قرداش، ص ٨٢.

(٣٢) انظر السير٢١١/٢، والاصابة، ٣٠٧/٤، وحديث يأجوج ومأجوج في البخاري، كتاب القتن، باب خروج ...، (٧١٣٥)، ٣٢٧/٤

(٣٣) انظر السير،٤٢/٢(٢٣)، والاصابة٢٣٧/٤، والمزي في التحفة٢٣٧/١١ن٣٤٠٠، وان الجوزي (١٩٠٠)، تلقيح الفهوم، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٣٦٩.

(٣٤) الأول قال به سعد في الطبقات، ١٢٣١/٨، وقال في الثاني خليفة بن خياط (١٩٧٧)، تاريخه، دار الرسالة، ص ٢٣٤.

(٣٥) الأول قال به ابن سعد في الطبقات ٥٣/٨، والثاني في التاريخ الصغير للبخاري ص ٥٢.

(٣٦) السخاوي محمد بن عبد الرحمن (١٩٩٢)، فتح المغيث، تحقيق: علي حسين علي، دار الإمام الطبري بيروت، ١٢٤/٢.

(٣٧) انظر مقدمة المحقق لكتاب بقي بن مخلد " عدد ما لكل واحد من الرواة من الصحابة ..)، دراسة وتحقيق: أكرم ضياء العمري، ص٥١.

(٣٨) ابن حزم الظاهري (١٩٩٢)، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد الفهارس.

(٣٩) آمال قرداش بنت الحسين، ص ١١٢١١٣.

(٤٠) راجع في ترجمة أسماء الراويات تهذيب التهذيب لابن حجر وتهذيب الكمال وفيه تفاصيل تراجمهن.

(٤١) محمد محمد أبو زهو(١٩٨٤)، الحديث والمحدثون، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٤٢٢.

(٤٢) آمال قرداش، ص ١١٩.

(٤٣) راجع المصدر السابق، ص ١٢٠١٢١.

(٤٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٤٤٢/١٤ و كحالة عمر رضا (١٩٨٢)، أعلام النساء، مؤسسة الرسالة بيروت،٩٠/١.

(٤٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٤، كحالة أعلام النساء ٢٠٥/١.

(٤٦) انظر في تفاصيل ترجمتها: ابن نقطة الحنبلي (١٩٨٨)، التقييد في معرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال سيد الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٢٤/٢. السير ٢٣٣/١٨، أعلام النساء ٢٤٠/٤. كما وجدت في شذرات الذهب والبداية والنهاية والعبر.

(٤٧) انظر السمعاني (١٩٧٥)، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة سالم، ط وزارة الأوقاف، بغداد، ٤٢٨/٢، وابن نقطة في التقييد ٣٢٢/٢، ولها ترجمة في بقة كتب التراجم.

(٤٨) راجع بعض هذه الأسماء في آل سلمان أب عبيدة مشهور بن حسن، عناية النساء بالحديث النبوي ص ٩٦٩٧.

(٤٩) راجع : صالح يوسف معتوق، (١٩٩٧)، جهود المرأة في رواية الحديث/القرن الثامن الهجري،دار البشائر الإسلامية بيروت ص ٨٧٨٨، وقد قام الدكتور معتوق بجهد مشكور في بيان جهود المرأة في مجال الرواية في هذا القرن من خلال كتاب الدرر الكامنة مصدراً أساسياً.

(٥٠) المصدر السابق ص١٧٧٣٢٢، وقد قام المؤلف بترجمة شاملة تفصيلية للشهيرات مبرزاً نشاطهن في خدمة الحديث ونشره، كما قام قبل ذلك بنفس الكتاب ببيان الراويات في كل عقد زمني من القرن الثامن الهجري.

(٥١) انظر: آل سلمان، عناية النساء بالحديث النبوي، ص ٩٨١٠٣، وانظر أسماء لمحدثات في القرن العاشر الهجري ص ١٠٤، وانظر تراجمهن عند السخاوي، الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع، ص ٨٨٢ وما بعدها.

(٥٢) راجع تفاصيل دور هؤلاء النسوة في كتاب الدكتور محمد بن عزوز (٢٠٠٠م)، صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري، دار ابن حزم، بيروت، ص ١٤٩، ١٦٠، ٢٠٥.

(٥٣) ومثل ذلك فعل خليفة بن خيّاط، بدأ ببيت رسول الله قدم خديجة فبنات الرسول فعماته فبنات عمومته فأزواجه، فالمسلمات المبايعات من قريش، فغرائب نساء العرب المهاجرات المبايعات ثم نساء الأنصار مقدماً الأوس على الخزرج، وختم بأسماء النساء اللواتي لم يروين عن رسول الله وروين عن أزواجه وغيرهم من الصحابة.

(٥٤) الذهبي (١٩٦٣)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت، ٦٠٤/٤.

(٥٥) انظر على التوالي، تهذيب التهذيب، ٤٦٦/١١، ٤٨٢، والسمعاني، التحبير ٣٩٦/٢، وما بعدها، وانظر علماء آخرين مثل الإمام أحمد بن حنبل ومالك بن أنس، وابن عساكر، وابن الجوزي والذهبي، وابن حجر. آل سلمان، ص ٢١٤٧.

(٥٦) قامت الباحثة آمال قرداش بنت الحسين بتتبع حركة النساء خلال هذه الكتب في كتابها" دور المرأة في رواية الحديث في القرون الثلاثة الأولى" اعتماداً على كتابي المزي وابن حجر في تقريب التهذيب.

(٥٧) وهن: أسماء بنت زيد بن الخطاب، أسماء بنت سعيد بن زيد بن نفيل، صفية بنت الحارث بن طلحة العبدرية، عائشة بنت مسعود بن الأسود، زينب بنت نبيط، راجع في معرفة عدد الراويات المزي في تحفة الأشراف وتهذيب الكمال، وابن حجر في تقريب التهذيب.

(٥٨) راجع: آمال قرداش، ص ١٤٤ ١٤٥.

(٥٩) ابن كثير (١٩٨٣)، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٧٢.

(٦٠) ابن الجوزي، تلقيح الفهوم، ص ٤٠٢.

(٦١) مسلم، كتاب الفتن، باب بقية من أحاديث الدجال، ١١٤/٤.

(٦٢) راجع: آمال قرداش، ص ١٥٠ وما بعدها.

(٦٣) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (١٩٨٤)، زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ٦٠٩/٥.

(٦٤) البخاري، الجنائز، غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر ١٥٢/٢.

(٦٥) مسلم، فضائل الصحابة، فضل أصحاب الشجرة (٢٤٩٦) ١١٠٣/٤.

(٦٦) راجع: ابن كثير، الباعث الحثيث، تحقبق أحمد شاكر، ص ١٠٨.

(٦٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الكتابة إلى النساء، وجوابهن قال الألباني: سنده صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٧٩، ١٠٤/٢.

(٦٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٤٠/١٤.

(٦٩) راجع: ابن حجر (١٩٨٤)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت ٤٧/١٢، والمزي، تهذيب الكمال، ١٦٨/٢٥.

(٧٠) ففي رواية أبي هريرة:" إن الصلاة يقطعها الحمار والمرأة والكلب" فأنكرتها إنكاراً شديداً فقالت: شبهتمونا بالحمير والكلاب" والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة..."الحديث.

(٧١) كحالة ، عن كتاب أعيان الشيعة للعاملي، معجم أسماء النساء، ٢٩٨/١.

(٧٢) العراقي زين الدين(١٩٦٩)، التقييد والإيضاح، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٤٣١٤٤.

(٧٣) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب يعذب الميت ببكاء أهله عليه إذا كان النـــوح مـــن سننه، (١٢٨٨) ، ١/٣٩٥، ومسلم (٩٢٩).

(٧٤) تخريج

(٧٥) مسلم ، فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها (٢٥٤٥)، ص ١٩٧١.

(٧٦) كحالة ، معجم أسماء النساء ٢/٩٤، ٩٥، ومعجم المؤلفين، ٤/١٩٨، ٩٩١، ٥/ ٥٦، ٥٧.

(٧٧) ابن الزبير (١٩٩٥م)، صلة الصلة، ط وزارة الأوقاف، المغرب، ٥/٣٢١، نقلاً عن محمد بن عزوز، صفحات مشرقة، ص ٣٢.

(٧٨) الذهبي، السير، ١٤/٢٣٣.

المصادر والمراجع

١. أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ط٢ دار الدعوة ودار سحنون، موسوعة السنة الكتب الستة وشروحها، تونس(١٩٩٢م).

٢. أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، دار الكتاب العربي، بيروت(١٩٨٤).

٣. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، ط٣ دار الكتاب العربي، بيروت(١٩٨٠).

٤. أحمد بن حنبل، المسند، دار الدعوة ودار سحنون، موسوعة السنة، تونس(١٩٩٢م).

٥. آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، عناية النساء بالحديث النبوي، ط دار ابن عفان، السعودية(١٩٩٤).

٦. آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر (سلسلة كتاب الأمة) عدد ٧٠ (١٩٩٩م).

٧. ابن الجوزي، تلقيح فهوم الأثر، مكتبة الآداب، القاهرة (١٩٠٠م).

٨. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، نشر وتوزيع دار الافتاء بالرياض (د.ت).

٩. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت (١٩٨٤م).

١٠. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب، القاهرة (١٣٢٨هـ).

١١. ابن حزم، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٢م).

١٢. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٠م).

١٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤط ط٣ مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٤م).

١٤. ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٣م).

١٥. ابن ماجة، محمد بن يزيد، السنن بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

١٦. ابن نقطة الحنبلي، التقييد بمعرفة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال سيد الحوت، دار الكتب العلمية بيروت (١٩٨٨م).

١٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

١٨. الترمذي، أبو عيسى، الجامع الصحيح، دار الدعوة، ودار سحنون، موسوعة السنة، تونس (١٩٨٠م).

١٩. الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، مكتب المطبوعات الإسلامية (د.ت).

٢٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٣٤٩هـ).

٢١. الخطيب البغدادي، تقييد العلم، دار إحياء السنة النبوية (د.ت).

٢٢. خليفة بن خياط، التاريخ، تحقيق د. أكرم العمري، مطبعة الرسالة، بيروت (١٩٧٧م).

٢٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٥هـ).

٢٤. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت (١٩٦٣م).

٢٥. الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ط المكتبة الإسلامية، بيروت (١٩٨٥م).

٢٦. زين الدين عبد الرحيم، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة (١٩٦٩م).

٢٧. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الحياة، بيروت (١٣٥٥هـ).

٢٨. السخاوي، فتح المغيث تحقيق: علي حسين علي، دار الإمام الطبري، بيروت (١٩٩٢م).

٢٩. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت (١٩٧٣م).

٣٠. صالح يوسف معتوق، جهود المرأة في رواية الحديث للقرن الثامن الهجري، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت (١٩٩٧م).

٣١. العمري، محمد علي قاسم، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ط دار النفائس الأردن (٢٠٠٠م).

٣٢. القاضي عياض، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت (١٩٦٧م).

٣٣. كحالة عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٢م).

٣٤. محمد بن عزوز، صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان (٢٠٠٢م).

٣٥. المزي، الحافظ، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، الدار القيمة، بومباي، الهند (د.ت).

٣٦. المزي، الحافظ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، ط٥ مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٨م).

٣٧. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة ودار سحنون، استانبول – تركيا (١٩٩١م).

٣٨. النسائي أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار الدعوة وسحنون، استانبول – تركيا (د.ت).

women endeavors
in distributing Hadith and its sciences

Dr. Afaf Humaid

Abstract

The study highlights women endeavors in distributing Hadith and its sciences. Women concern for Hadith aimed at preserving and narrating it, emanating from their sense of individual responsibility as members of their society to whom their duty is to educate, preach Islam and reform. All divine texts addressed them and equipped them with self-confidence, especially the Prophet's encouragement (PBUH) for them to acquire knowledge and attend knowledge circles. *Omahat Al-Mumineen* were the best examples for all Muslim women, amongst whom Ayisha (PBUH) was. She was also one of the seven prolific Hadith narrators. Prominent women played their role in the three virtuous centuries.

The researcher used books of translation, history and women narrations from the six books. Some Ahadeeth were narrated by women only, and later became a source of jurisdiction indications.

The research also recorded a drawback in women role after the first three centuries, besides indicating their prominent figures in the following centuries until the ninth century, especially the eightieth. Women narrators also taught Hadith to students from different countries. Women meeting and exchange of knowledge with students or sheikhs was done with respect to Islamic limitations.

The paper points out the short-comings of women in authoring and classifying books. Moreover, most of them were related to families of Hadith narrators who were deeply concerned

with educating their fellow women. Women also participated in the quest for Hadith, but along with one of her male guardian.

For a complete version of the paper in Arabic see pp 231-270

* * *